

عوامل التواصل اللغوي :

تشكل في التواصل اللغوي "العناصر الخمسة الأخرى ثانوية تقوم بدور الوسيط، بينما العنصر الرئيسي في مثل هذه الرسائل هو المرسل إليه..."¹، ويعقب أو ينتقد هذا التصنيف المنهجي من خلال التفرقة أو "التمييز بين نوعين الوظائف اللغوية، ومن ثمّ نوعين من العوامل، وظائف رئيسية تجسّدت في نموذج بوهلر التقليدي، ووظائف أخرى لسانية إضافية اعتبرها جاكبسون مهمّة في الوضع التخاطبي بمختلف مستوياته، ومميّزاته، لتبلغ بذلك ستة "عوامل هي: المرسل والرسالة، والمرسل إليه، والسّنان، والمرجع، والقناة..."²

الأطراف الثلاثة في عملية التواصل:

"أ- المرسل (أو الباث)، ب- المرسل إليه (أو المستقبل)، ج- الرسالة أو الشفرة التي تهمنّا، وتكون مجالاً لدراستنا.... إنّ المخطط الذي اقترحه ياكبسون بأبعاده الثلاثة (المرسل والمرسل إليه والرسالة)، يفترض وجود مرسل إليه متقبّل الرسالة، ويستعمله الباث في شكل قناة لتمرير رسالته مع ذلك نلاحظ أنّ المتلقي في الخطاب الأدبي هو مستقبل مثالي، وبصيغة الجمع..."³.

وهذا يحتاج من طرف المرسل أو الباث "اشتغالا مضنياً على اللغة، ومعرفة دقيقة بآليات إنتاجها للمعنى حتّى يتسنى له تمرير رسالته، هذا الاشتغال على اللغة يعتبر عملاً مهمّاً لإبراز العلاقة المباشرة بين الطرفين (أ-ب) لكي يصل الطّرف (ج)، إلى هدفه المرجو من عملية التواصل..."⁴، وانطلاقاً من هذه العوامل، كان البحث يندرج "في تلك القرائن، والعلائق اللغوية المكوّنة لخصائص الأسلوب انطلاقاً من الوظيفة المهيمنة..."⁵

¹ الطاهر بومزير "التواصل اللساني والشعرية"، ص 43

² المرجع نفسه، ص 24

³ حسين خمري "نظرية النص"، ص 265

⁴ المرجع نفسه، ص 265

⁵ صالح بلعيد "نظرية النظم"، دار هومة، 2002، ص 87

المرسل (Destinateur):

وقد يكون هذا الباث في أيّ عملية تواصلية أو اتصالية " فردا ,أو جماعة ,أو حيوانا, أو آلة, وهو مصدر المعرفة في الحقيقة...¹, نلاحظ بهذا أنه ليس شرطاً أن يكون إنسانا, بل إنّما الكائنات الأخرى معنية به, كما يمكن اعتبار الأجهزة التقنية باثاً أيضاً مثلما أوضحه شانون صاحب النظرية الرياضية للتواصل, كما من جهته " يعتبر ركنا حيويًا في الدّارة التّواصلية اللفظية, فهو الباعث الأوّل على إنشاء خطاب يوجّه إلى المرسل في شكل رسالة , وقد تداول اللسانيون هذا العامل في قوالب اصطلاحية متباينة مثل ((الباث l' émetteur), أو ((المخاطب), أو النّاقِل ((النّاقِل), أو ((المتحدّث)...².

ورغم تعدد المصطلحات إلاّ أنّه يتفق على أنّ الطرف الأساسي في التخاطب, ولا يستغنى عنه خلال دورة التخاطب اللفظي خاصّة, ومهام المرسل خلال العملية التّواصلية, وبثّها (بث الرّسالة), أن يقوم بـ " مراقبة الرّسالة أثناء نقلها, ومن ثم فقد يبادر باسترجاعها إمّا بوعي أو بغير وعي, بغرض التّعديل فيها وتصحيحها, إذا تطلّب الأمر ذلك , ومن ثم نستطيع أن نقول أنّ تكوين الرّسالة, وبثّها قائمان على أساس الاختيار...³.

ومن خلال هذا يعمل الباث على إرسال ما يوافق النّظام اللّغوي في مستوياته الصّرفيّة, الدلالية, النحوية, و السّياق في ملائمة الرّسالة للدلالات الثقافية, فهو من شأنه أن يعمل على " التركيب (Le Codage), أو (L' Encodage)...⁴, في جهاز الإبلاغ اللّساني, ونوعية القيود الموجهة إلى المرسل منطقية بأخذ الاعتبار لطبيعة خطابه إلى المرسل إليه فالخطاب السّياسي مثلاً يختلف عن الخطاب, وهذا على المرسل أن يراعيه في حجم الشحنة الدلالية التي يبلّغها, وكلّها تولّد عنده مجموعة من النّقاط التي تميّزه في ما يلي:

¹ صالح بلعيد "دروس في اللسانيات التطبيقية", ص 45

² الطاهر بومزير " التواصل اللساني والشعرية", ص 24

³ محي الدين محسّب " انفتاح النسق اللساني", ص 24

⁴ عبد السلام المسدي "الأسلوب والأسلوبية", ص 107

➤ أن يتوقّر في المرسل " القدرتان المستقبلية والمنسّقة للقيام بعملية الترميز Codage, وتفكيك الرّمز Décodage, بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي يشترك فيه مع مستقبل الرسالة أي نظام ترميز Un Code...¹, كما من جهته يهيئ المستقبل لتلقي رسالته عن طريق الإقناع, والتأثير والمفاجأة, وما إلى ذلك .

➤ على المرسل أن يكون "على لياقة كافية _لو في مستواها الأدنى_ تسمح له بتوجيه الخطاب في شكله المنطوق ((الأداء المباشر)), أو في شكله المكتوب ((غير المباشر)), لأنّ الرسالة اللفظية تتطلب قدرة فيزيولوجية على بثّها, وقدرة على كتابتها², فعلى مستوى الخطابين الشفوي والكتابي يقوم المرسل بدوره كعامل أول في العمل التواصلية.

المرسل إليه (destinataire):

دور المرسل إليه في العملية التواصلية يقوم على " عملية التلقي, والفهم لمضمون بلاغ أو رسالة ما...³, و تتجلى مهمته في تفكيك الشفرات في النص أو الخطاب, ومحاولة استيعابها, وفقا للدلالات المتعارف عليها جملة, أو كلمة, أو نصًا, ويطلق عليه في " المصطلح الفيزيائي (المستقبل Le Récepteur)...⁴, و يحقق المرسل ردّة فعله نحو الرسالة برفض أو قبول أو احتجاج, وما إلى ذلك, ومن هنا يكون المستقبل " أمام عدّة خيارات, فهو إمّا أن يضيف إلى معرفته شيئًا جديدًا حملته إليه الرسالة, ولم يكن يعرفه من قبل, وبالتالي يقوم بتخزين هذه المعلومة في ذاكرته المعرفية...⁵, و تجدر الإشارة إلى أنّه ينعكس الأمر في وضعية إذا ما كان المرسل إليه " على معرفة سابقة بمضمون الرسالة مناقضا لمضمون قضية سبق له معرفته أو قبولها...⁶, هذا كلّه يكون على حسب طبيعة الخطاب التواصلية, وعلاقته التبادلية مع المرسل, ولعلّ الفضل

¹ الطاهر بومزبر " التواصل اللساني والشعرية", ص 25

² المرجع نفسه, ص 25

³ يحيى بعبطيش " دراسات في الخطاب الصوفي ", ص 148

⁴ الطاهر بومزبر " التواصل اللساني والشعرية", ص 25

⁵ محي الدين محسّب " انفتاح النسق اللساني ", ص 25

⁶ المرجع نفسه, ص 25

في استعمال المصطلح يعود إلى أ.كليولي A. Culioli الذي استبدل مصطلح مرسل إليه (Destinaire) محل المصطلح المتلفظ المشترك وذلك اعتباراً إلى أنّ " التلّفظ هو في الواقع تلفظ مشترك، وأنّ الطرفين يلعبان في صلبه دوراً نشطاً، فعندما يتحدّث المتلفظ المشترك يبلغ هو الآخر، وهو يحاول أن يضع نفسه في موضع المتكلّم لتأويل الملفوظات، والتأثير عليه، دوماً برّدّة أفعاله...¹، ومنه أيضاً في الوضع التواصلّي حيث يتحدّد عمل المستمع خاصّة، فبعد الإصغاء التام لكلام المتكلّم (الباث)، يعمل على تحليل الشفرة المشتركة مع حصيلته اللغوية الدّاتية، مهاراته الفونولوجية.

وبعدها مباشرة "يدرك المستمع الكلام (الفهم مرحلة أخرى غير الإدراك)، وتفهم الكلام يختلف عن إعطاء الكلام التفسير الدّلالي، ذلك أن تفهم الكلام يتخطّى في الحقيقة المحتوى اللّغوي للتعبير نفسها...²، فمستوى تأويله للكلمات الصّوتية يجب أن يرقى إلى قصديّة الكاتب من المرسلّة، على أن تكون هناك موازاة كلاميّة تتلاءم مع الواقع الاجتماعي، فالمرّاحل التي يمرّ بها المستمع في تلقيه للخطاب الصّوتي، وتكون متدرّجة على حسب قدرة المستمع على الاستعمال، وتختلف من شخص لآخر، أمّا على الجانب التّواصلّي الكتابي، فإنّه " يشكّل المتلقون الهدف الذي يرمي إليه النّص باعتباره وسيلة للإغتراء أو الاعتداء...³

¹ دومينيك مانغونو " المطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب "، بت: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط 1، 2008، ص 16
² حسين خمري " نظرية النّص "، ص 70

³ نسيم عون "محاضرات في علم الدلالة"، ص 68

المرسلة (Message):

تشكل الرسالة في حد ذاتها " موضوع النقل الاتصالي..."¹, و في موضع آخر يجب أن تكون مقبولة, إذ لا " يمكن أن تحدث عملية الاتصال إلا بوجود سجل معرفي وقيمي له مضامين ودلالات متعارف عليها..."², و على الرسالة أن تكون في إطار لغوي معيّن لتحقيق التواصل بين طرفي الخطاب, من جهة أخرى فالمرسلة قاعدة لغوية تسير وفق الدلالات المميزة لأشكال الرسائل, وخصائصها, كما يمكن " أن يرجع هذا المصطلح إلى النص, أو إلى معنى النص..."³.

وعلى هذا الأساس فالمرسلة تختلف من شكلها الشفوي والكتابي, فهي تمثل " الجانب الملموس في العملية التخاطبية, حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صور سمعية لما يكون الخطاب شفهيًا, وتبدو علامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة..."⁴, وبالتالي فالرسالة إما تكون وحدات صوتية, أو وحدات إشارية يخضعان لنظام التشفير, ومن المعلوم الفكر اللساني تعددت تعاريفه للرسالة, ولم يرد مفهوم واحد يبرز هوية الرسالة, فاعتبرها اللسانيين على أنها " مجموعة علامات تركبت, وانتظمت بحسب قوانين اللغة المستعملة وسننها, بحيث إنّ الرسالة تشكل علامي قبل كلّ شيء , ما دلالتها المعنوية سوى اهتداء المرسل إليه إلى تفكيكها بحسب السنن نفسها التي انتظمت بموجبها..."⁵

ومن هذا الأساس فتتوّع الرسائل اللسانية بتنوّع وظائفها, ولكن لا يقتصر على هذا وحسب, و " إنّما في اختلاف نظامها التراتبي, إذ لا توجد بتاتا رسالة لسانية لا تؤدّي إلا وظيفة واحدة, والوظيفة المهيمنة هي التي تحدّد كلّ مرّة بنية الرسالة..."⁶, وهذه الأخيرة من خلال طبيعتها ومضمونها تمثل " كلّ ما يمكن أن يبلغ من المعاني أو الأفكار, والأحكام

¹ صالح بلعيد "دروس في اللسانيات التطبيقية , ص 45

² المرجع نفسه, ص 46

³ دانيال تشاندلر " أسس السيميائية, ص 457

⁴ الطاهر بومزير " التواصل اللساني والشعرية", ص 27

⁵ عبد السلام المسدي "الأسلوب والأسلوبية", ص 107

⁶ ألمان هو لنشتاين " رومان ياكبسن والبنوية الظاهرية " , ص 120

والأوامر والأخبار لفظاً أو كتابة من طرف إلى طرف، ويسمى الطرف الأول المتكلم أو الملقى، والطرف الثاني المستمع أو المتلقي...¹.

الشفرة (Code):

تعددت تعاريف السنن ودلالاته، ولكن في " حدود منتصف هذا القرن وقع استعمال لفظ /سنن/، (ماعدا حالات استثنائية) مثل تلك التي تحدث فيها سوسور عن ((سنن اللغة)، بمعان ثلاثة محدّدة: بالمعنى الباليوغرافي، والمؤسسي و التعالقي...²، وهذا ما وجدت عليه القواميس العادية، وأيضاً في كتاب " (code book) هو قاموس للسنن التعالقي يربط الرموز برموز أخرى، وهو مدوّنة من القوانين، أو من القواعد الخاصة بالسنن المؤسسي، ونجد ألفباء مورس، والسنن الفروسي...³.

ولكن مصطلح السنن لاقى نجاحاً في الخمسينات مع النظرية الرياضية للتواصل مع شانون (Shannon)، كما نجده عند جاكبسون في التواصل اللغوي، وتجدر الإشارة إلى أنه عرف عند مانغونو (1993)، وذلك في اعتباره أن " التشكيلية الخطابية لا تفصح عن ذاتها بواسطة اللغة (الفرنسية ، اللاتينية...)، بل عبر سنن لغوي خاص...ذلك أن السنن اللغوي ليس نظاماً لنقل المعلومات فحسب، بل يساهم في الشرعية الذاتية للمتلفظ...⁴.

وما يجدر ذكره أن السنن يمثل " القانون المنظم للقيم الإخبارية، والهرم التسلسلي الذي يتنظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل عليه كل نمط تركيب...⁵، فمن التركيب ينطلق الباحث في تمرير رسالته من خلال الترميز، فيفكك من

¹ عبد الرحمن علي مشنتل "التفكير اللساني في رسائل إخوان الصفا"، تقديم: سعيد حسين حمري، مكتبة الآداب القاهرة، 2005 ط 1

² أمبرتو إيكو " السيميائية وفلسفة اللغة "، ص 395

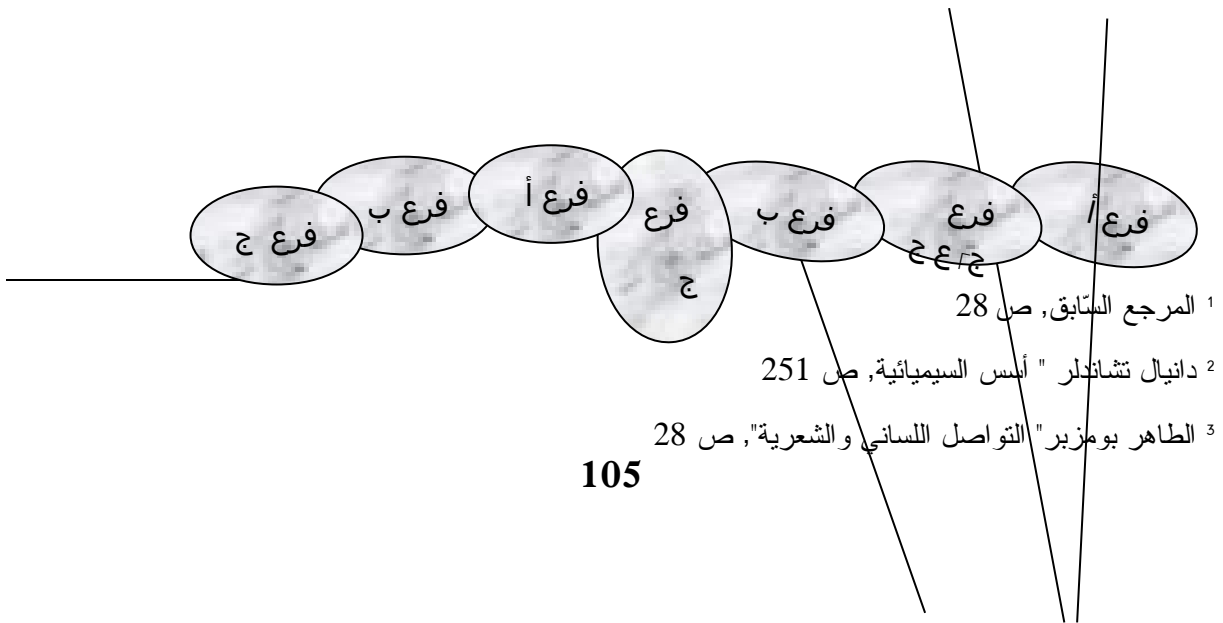
³ المرجع نفسه، ص 395_396

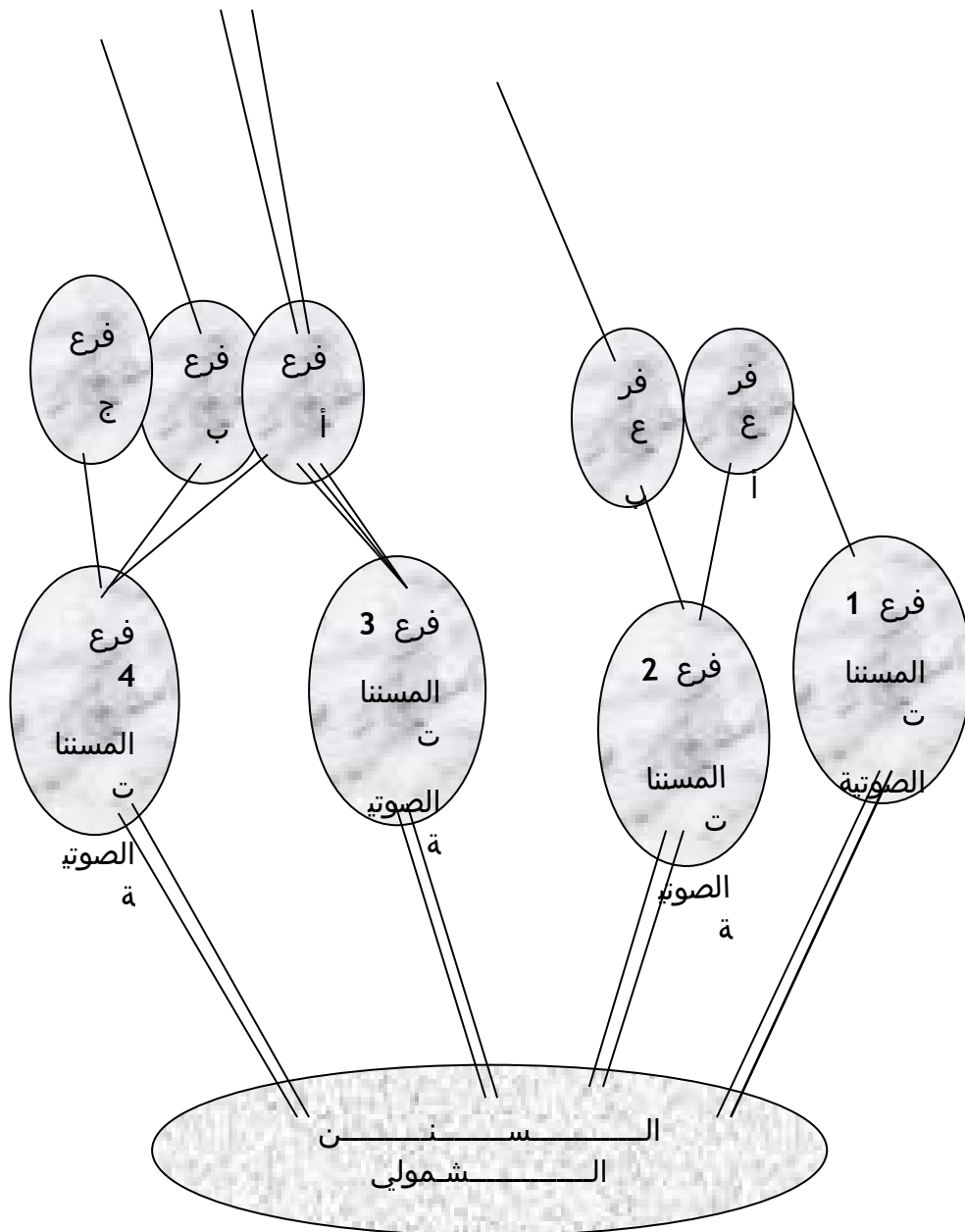
⁴ دومينيك مانغونو " المطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب "، ص 15_16

⁵ الطاهر بومزير " التواصل اللساني والشعرية"، ص 28

خلالها المستقبل التركيب التشفيري, لإيجاد القيمة الإخبارية من فكّ وحلّ للرموز (Décodage), إنّ كلّ جماعة لسانية تتوقّر على نظام لغوي مشترك يقوم كأساس للعملية الإبلاغية, وعليه فإنّ " السنن الشمولي يمثل نسقا من الأنواع السننية الفرعية في التواصل المتبادل, فكلّ لغة تشمل العديد من الأنساق المتزامنة التي يتميّز كلّ نسق منها بوظيفة مختلفة...¹, وقد أكد رومان جاكبسون على " أنّ إنتاج النصوص وتفسيرها يعتمد على شفرات, أو اصطلاحات للتواصل, وتأثر بمنظري التواصل, فأقام التمييز بين الشفرة, والمرسلة, كما التمييز السوسوري بين اللغة والكلام...²

و تجدر الإشارة إلى أنّ الشفرة غير ثابتة , بل تتغيّر وفق تطور النظمين الاجتماعي والثقافي للجماعة اللسانية, واللغة عند جاكبسون تمثل "النظام الكلي الذي يتواجد ضمنه عدد هائل من الأنظمة الصغرى والفرعية, والتي تتفرّع من هذا النظام الكلي بصورة تشبه, أو تماثل فروع الشجرة, بالنسبة لأغصانها...³, وهذا ما يمكن إيضاحه في المخطط التالي:





المستن الشمولي لمستويات التحليل اللساني¹

قناة (Canal):

اشتملت مصطلحاته على ما يعرف بـ "الصلة (Contact)"²، وما يصطلح عليها أيضا بـ "قناة تبليغ معينة (Canal De Communication)"³، ونلاحظ محمد

¹ المرجع السابق، ص 28

² يوسف و غليسي " إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد "، منشورات الاختلاف، ط 1، 2008، ص 274

³ يحيى بعطيش " دراسات في الخطاب الصوفي "، ص 148_148

عزّام في كتابه يطلق عليها ب " النّماس، أو الوسط الفيزيائي للاتصال..."¹، ومن جهة أخرى فإنّ تعاريفها تتعدّد أيضا، ومن ذلك اعتبارها " صيغة حسّية يستخدمها وسيلة الاتصال (مثال ذلك المرئي، السّمع، الملموس)، وتحدّد السّمات التقنية لوسيلة الاتصال التي يعتمد عليها النص، القنال، أو القنالات التي تتوقّر، وتحدّد الصّيغ الحسّية من الشّفرات الملائمة..."².

حيث تسهم في بناء المعنى، كأداة شفافة واضحة بالنّسبة للمتلقّي وتسهّل القناة أيضا فك التّركيب، أو التّشفير، وتجدر الإشارة إلى أنّ القناة هي أيضا " تواصل فيزيولوجي بين المرسل والمرسل إليه يسمح لهما بإقامة الاتصال والحفاظ عليه، ذلك قصد التّأكيد من سلامة الممرّ الذي تنقل عبره الرّسالة المتبادلة..."³، فهي تؤمّن الاتصال وتبقي على استمراره، أو تعمل على تعطيله، وقطعه، خاصّة في الحوارات، والخطب، والأشكال الطّقوسية.

كما يمكن أن تكون القناة عبارة عن "ذبذبات كهربائية في التّخاطب الهاتفي، وأشعة ضوئية في التّخاطب الكتابي، وهي تموجات هوائية في الخطاب الشّفوي..."⁴، إذن فهي حامل الرّسالة، أو البلاغ، مهما كانت تمظهراتها في الخطابات التواصلية المتعددة.

السّياق (contexte):

لكي تحقّق الرّسالة دورها في المتلقّي، فإنّه يتوجّب أن يكون لها " سياقاً تحيل إليه (وهو ما يسمّى أيضا باصطلاح غامض نسبياً ((المرجع)))، وهو سياق قابل للإدراك من

¹ محمد عزّام " تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثيّة " _دراسة في نقد النقد _، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 25

² دانيال تشاندلر " أسس السيميائية، ص 453

³ الطاهر بومزير " التواصل اللساني والشعرية"، ص 33

⁴ عبد السلام المسدي "الأسلوب والأسلوبية"، ص 107

لدى المرسل إليه، ويكون لفظيا، أو قابلا لأن يكون لفظيا¹، حيث يسعى الخطاب إلى ربط الملفوظات بسياقاتها التي تحيل إليها، إذ أن السياق (Contexte)، هو "الذي ترجع إليه الرسالة..."²، ويمثل المرجع بالنسبة للرسالة "سياقها وموضوعها الخاص بها..."³.

فالرسالة أيضا لا يفهم معانيها، ولا تحلّ شفراتها إلا بـ "الإحالة على الملابس التي أنجزت فيها هذه الرسالة، قصد إدراك القيمة للخطاب، ولهذا ألح رومان جاكبسون على السياق باعتباره العامل المفعّل للرسالة، قصد بما يمدها من ظروف وملابس توضيحية..."⁴، فالسياقات غير اللفظية فرع وعامل مساعد للسياقات اللفظية، فهي تمثل المحيط الذي توجد فيه الرسالة، ومن جهة أخرى يتضمن السياق في هذا المستوى عدّة عناصر مهمّة:

• الموقع (site)⁵:

في هذا العنصر يحاول جاكبسون أن يولي أهمية للعلاقات المكانية والزمانية، في قوله: "نحتاج إلى أن نتقبل ليس فقط بأهمية العلاقات الزمانية، لكن بأهمية العلاقات المكانية أيضا، التراكيب المكانية مهمّة ليس فقط في كلّ المجموعة التي نعتبرها عادة وسائل اتصال مرئية (كالرسم، والرسم الطلائع، والصورة الشمسية)، ولكن في

الكتابة أيضا في الأحوال التي يسهم تصميم معيّن في المعنى..."⁶، حيث أنّه لا يعتبر أنّها تقتصر على لقصائد التي تعتمد على الأسلوب والشكل، وإنّما في الصّحف، والمجلات، والمخطوطات، وهذه العلاقات ما تعرف أيضا بـ "الإطار الزمكاني Le Cadre

¹ إمار هو لنشتاين "رومان ياكبسون والبنوية الظاهرية" ص 120

² محمد عزام "تحليل الخطاب الأدبي"، ص 25

³ يحيى بعيطيش "دراسات في الخطاب الصوفي"، ص 148

⁴ الطاهر بومزير "التواصل اللساني والشعرية"، ص 30

⁵ المرجع نفسه، ص 30

⁶ دانيال تشاندلر "أسس السيميائية"، ص 192

Spatio-temporelle, إذ يجب أن يكون الخطاب المعطى مطابقا لحيّز مكاني, ولحظة زمانية...¹

•الهدف (Le But)²:

إنّ هدف العملية التواصلية مهما كان نوعها هو إقامة التواصل والعمل على استمراره بين الجماعة اللسانية, حيث " أنّ أهداف التواصل هي الغاية القصوى من العملية التواصلية, فالمحدثات التي تؤدّي ((حسب أوركبوني)), ذات طبيعة علاقية أكثر منها واقعية, و لأننا نتكلم من أحل الكلام, ولضمان صيانة الوشيجة الاجتماعية...³

•المشاركون في العملية التواصلية (Les Participants)⁴:

يخضع المشاركون للعديد من العناصر المهمّة, والذي يرتبط بالعملية لكونه جزءا من عملية الإبلاغ, كما تكون الأهمية لعنصر من جوانب شخصيتهم التي تميّزهم عن الآخرين, ومن ذلك " وضعية المستقبل مكانته, درجة العلاقة به, عمره, نوعه: ذكر أو أنثى , حالته المزاجية الخ, عند بث الرّسالة إليه و مراقبة مدى وصولها إليه بكفاءة واضحة...⁵, وهذا ما يصطلح عليه السياق الأصغر, كما نتّمكّن من معرفة مميّزات عن المتكلم دون أن يكون له قصد أو نيّة في تبليغها " فصوته كثيرا ما يخبرنا عن

سنّه, وجنسه, وربّما بدانته , وعن حالته الصّحية ومنشئه الجغرافي, وطبقته الاجتماعية, وحالته النفسية آنذاك...⁶, كما يؤخذ بعين الاعتبار أيضا "علاقاتهم المتبادلة

¹ الطاهر بومزير " التواصل اللساني والشعرية ", ص 30

² المرجع نفسه, ص 31

³ المرجع نفسه, ص 31

⁴ المرجع نفسه, ص 31

⁵ محي الدين محسّب "انفتاح التّسق اللساني", ص 24

⁶ جورج موان "مفتاح الألسنية", ص 49

leurs relations mutuelles, من خلال درجة معرفتهم _المتخاطبين_ طبيعة علاقاتهم الاجتماعية...¹, على أن تتوَقَّر فيما بينهم المشاركة والتفاعل.

إنَّ أساس التواصل اللساني والموضوع الأساس الذي يقوم عليه يرتبط أو " يتعلّق أحياناً بالحقيقة اللسانية المفهومة من عوامل السياق الخارجية , كان من الواجب على المتكلمين أن يكونوا قادرين على تعيين الأشياء والأمور التي تكوّنُها تلك الحقيقة: وهذه هي الوظيفة المرجعية للغة فالشيء أو جملة الأشياء ممّا تشير إليه عبارة ما يكون مرجعها)...² .

¹ الطاهر بومزير " التواصل اللساني والشعرية", ص 31

² تودوروف , فريجة, شاف بيث, ستروسن , دافدسون, دوميت "المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث", بت: عبد القادر قنيني, منشورات افريقيا الشرق, 2000, ط 1, ص 33